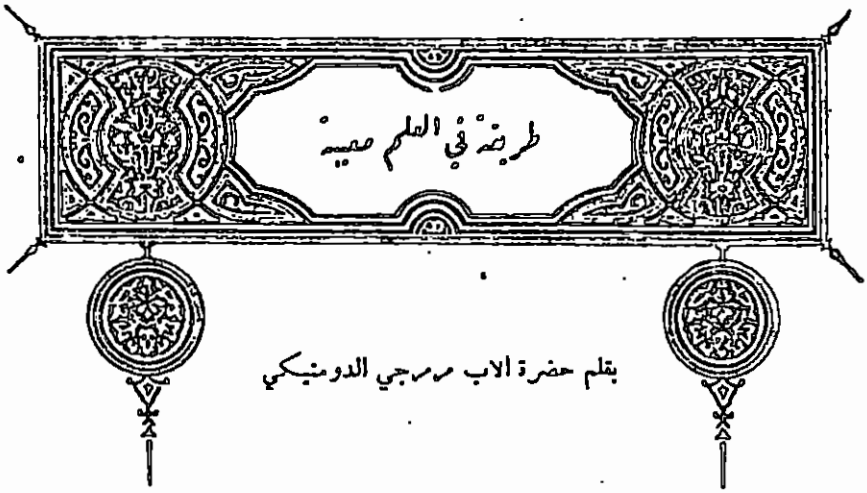

بقلم حضرة الاب ميخائيل مرجي الدومنيكي

الطريقة العلمية المرعية الجانب ، بغاية الدقة ، بين جمهور ارباب العلم ، في الديار المتمدنة ، هي القائمة على مبدأين : اولها السعي وراء الحقيقة سعياً منزّهاً عن كل هوى ، واظهارها كما هي ، غير ملبسة بالشبهات والمغالطات . ثانيهما الاقرار بالملكية العلمية لاهلها ، وذلك بالامانة في ذكر المصادر المستمدّة منها الحقائق المرويّة ، وفي اقتضاب الفقرات من المتون الاصلية ، مما يُنسب به الفضل الى ذوي الفضل ، ويُعطى لكل ذي حق حقه ، ويتسنى للمطلع تمحيص الاشياء بذاته .

ذلك واجب من الزم الواجبات واقدسها ، يتحتم القيام بـه على كل من تصدّى لبحث ، صغرت ام كبرت خطورته ، ويعدّ التهاون في ادائه « خرقاً لحرمة الامانة العلمية » محظوراً اليوم كل الحظر في شرع العلم ، فضلاً عن غيره ، وان كان قد استباحه قوم من القدماء ، وتتفاهم في سبيله الذميم جماعة من الحدثاء .

ومن طالع مصنفات ابناء الغرب ، من اية امة كانوا ، او في اية لسان كتبوا ، رأى بعينيه تدقيقهم في ذا الشأن . فان وضع احدهم مؤلفاً ، صدّره ، بادئ بدء ، بقائمة مشبعة ، حاوية الكتب التي استعان بها على تأليفه ، مع ذكر اسماء واضعيها ، ومحل نشرها ، وعدد طبعاتها . ثم في تضاعيف السفر ، كلما نقل رأياً عزاه الى قائله ، وان اتى بنص لغيره ، حصره بين معقّفين ، موجهاً القارئ الى ينبوع استمداده ، وان هو ترجمه عن لغة اجنبية ، صرّح

بذلك ، مبيناً طريقة الترجمة هل هي حرفية ام بتصرّف ؟ الى غير ما هناك من الامور المسهّلة البحث والتقصي ، والمراعية جانب التدقيق والامانة .

على ان هذه الطريقة العلمية ، المفيدة والواجبة معاً ، لم تنتشر بعد — ويا للاسف ! — بين جماعة الكتّاب والعلماء في البلاد العربية اللهمّ الا عند بعض الافراد . وان اردت الوقوف على الطريقة العلمية ، بمداتها الكاملة ، كما هي جارية في ديار العلم الصحيح ، فما لك الا ان تطالع منعماً النظر في شتّى مؤلفات حضرة الاب لامنس اليسوعي[1] ، وبالعكس ، لكي تعرف مثالاً على الاسلوب الشرقي القديم السقيم العاري عن الصفات العلمية العصرية ، فلك ان تتصفح كتاب « خطط الشام » لاحد الدمشقيين .

بيد ان غايتي الخاصة ان الفت نظرك الى نموذج حي « لخرق الامانة العلمية » جاء في احدى النشرات البغدادية . فانك ترى فيها قسماً مهماً من مقال عنوانه « ترجمات التوراة » فتستخيله من نتاج فكره منشئها ، انما هو بالحقيقة مستلّ ومترجم برمته من معجم الكتاب المقدس الفرنسي لصاحبه العلامة ڤيگورو . ولكي لا يخامرك شك في الامر ، انقل لك من المعجم المذكور ومن المجلة العربية العراقية كلا النصين متآزيين ، فتوقن ان العربي ان هو الّا ترجمة الفرنسي « بشيء من التصرف » ؛ لكن هيهات ان تجد في صدر المقالة او في ثناياها ، او في اواخرها ما به تصريح او تلميح الى الينبوع المستقى منه .

نصّ المجلة العراقية (٢

وكل ما وصل الينا من النقول العربية حديث الوضع .

لان اغلب الكنائس الشرقية كانت تتلو صلواتها باليونانية او الرومية او الارمية او

نصّ معجم ڤيگورو الفرنسي (٣

Les versions arabes que nous possédons sont toutes de date relativement récente.

De fait, le besoin de ces versions ne dut se faire sentir que

---

١) كثيرة هي تصانيف حضرة الاب لامنس ، وكلها حرية بان تنقل بمنزلة الدليل للباحثين ، والمثال المحتذى للمؤرخين النقّادين . ومن اراد الوقوف على بعضها ، فليراجع جريدة المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

٢) مجلة لغة العرب ج ٩ ، س ٨ ، ص ٦٦٥ الى ٦٦٧ .

٣) Vigouroux, *Dictionnaire de la Bible*, T. I. c. 845.

lorsque les différentes contrées soumises à l'Islamisme eurent abandonné leurs langues respectives pour adopter celle de leurs conquérants, c'est-à-dire entre le VIII^e^ et le X^e^ siècle de notre, ère. Les versions arabes furent alors entreprises par les juifs et par les chrétiens.

Les manuscrits sur lesquels elles furent faites étaient ceux dont on se servait dans les synagogues et dans les églises. Ils représentaient les recensions les plus diverses et, comme on peut le supposer, ils n'étaient pas toujours les meilleurs.

Les traducteurs se préoccupèrent moins de reproduire le texte le plus pur que de mettre la Bible à la portée des fidèles, en la débarrassant de toutes ses obscurités. Tous les livres de l'Ecriture Sainte n'étaient pas également lus dans les synagogues ni dans les églises.

Les chrétiens, en dehors du Nouveau Testament, qui était leur principale Ecriture, ne lisaient guère, dans leur entier, que le Psautier et les Prophètes.

الارمنية او القبطية او غيرهنّ من اللغات المستعملات في الشرق الى عهدنا .

ولما انتشر اللسان العدناني في الشرق الادنى وترك النصارى ألسنة اجدادهم صارت الحاجة الى نقل الكتب المنزلة الى اللغة الضادية . فنقل علماء اليهود توراتهم اليها وجارام المسيحيون في الانجيل . فظهرت الترجمات بين القرن الثامن والعاشر للميلاد . والمخطوطات التي اتخذت لهذه الغاية كانت في الكنس والكنائس .

وكانت روايات النصوص مختلفة لان النساخ كانوا قد مسخوا اغلبها مسخاً في كتابتهم اياها .

« فكان اغلب عناية المترجمين في ردّ النص الى اصله الصحيح الفصيح . وما كانوا يبالون كثيرًا تقريب المعاني من افهام العوام، اذ كانوا يجرّدون النصّ من الظلمات التي احاطت به » (١

زد على ذلك ان اليهود ما كانوا يقرأون في كنسهم جميع اسفار التوراة . ومثل ذلك قل عن المسيحيين .

« فاهم ما كانوا يقرأون جميع اسفار العهد الجديد . اما اسفار العهد القديم ، فكانوا يطالعون منها الزبور والانبياء . » (٢

---

١) لقد ضلّ المترجم سبيله في تعريب هذه الفقرة ، فجاء النقل خلاف المعنى الاصلي . وهاك الترجمة الصحيحة : « وكان المترجمون اقل اهتماماً في نقل النصّ الاصح الافصح منهم في تقريب معاني الكتاب المقدس من افهام المؤمنين ، وذلك بتجريدهم اياه من الظلمات التي احاطت به » .

٢) هنا ايضاً جاء التعريب سقيماً ، مناكساً لمعنى الاصل . فان النص الفرنسي يدل على ان المسيحيين كانوا يقرأون العهد الجديد « كلّه » ولا كل اجزاء العهد القديم بكاملها . وعليه يقتضي حذف حرف النفي « ما » السابق كلمة « كانوا » فيستقيم المتن . والاولى ان تترجم الفقرة هكذا : « اما المسيحيون ، فيمتزل عن العهد الجديد الذي كان كتابهم الخاص (ولذا

On se borna, tout d'abord à traduire ces livres; quant aux autres, on n'en traduisit que les parties qui étaient disseminées dans les livres liturgiques.

C'est ainsi qu'aucune des versions arabes les plus anciennes ne s'étend à toute la Bible.

Plus tard, quand on voulut avoir l'ensemble des Saintes Ecritures, pour l'usage du clergé, qui lui-même n'entendait plus suffisamment les langues anciennes, on se contenta de réunir les versions déjà faites des différents livres ou portions de livres, et on combla les nombreuses lacunes par de nouvelles traductions faites sur les exemplaires complets des anciennes versions coptes ou syriaques.

Il en résulta de véritables mosaïques, dont le fameux manuscrit de *Brèves* est un exemple frappant.

Les versions arabes n'ont donc pas beaucoup d'autorité.

Cependant la critique y trouve parfois des variantes qui jettent une lumière inespérée sur la version syriaque, et surtout la version alexandrine.

ولهذا حامت المخاطر حول ما يُتلى من تلك الصحف. اما ما كان من سائر المصاحف فكانوا يتقوّون الى العربية ما ورد من آياتها في الصلوات والادعية والشعائر الدينية ولهذا لا يرى في لغتنا نقل كامل للمهدين.

ولما حاول بعضهم الحصول على ترجمة كاملة تستوعب جميع الاسفار الالهية، عمدوا الى الاجزاء المعرّبة — وكانت لعدة مترجمين ومن عدة لغات — وادمجوا فيها ما عرّبوه بانفسهم.

وهكذا جاءت الترجمات بعبارات مختلفة السبك والصحة كانها الثياب القلمونية او رقعات الدروايش. اذ ترى في تلك النقول مزايا كل لغة ترجمت منها. واحسن مثال لما نقوله مخطوط « Brèves » ولهذا لا يعتمد على النسخ العربية المترجمة. اذ نصوصها مترجرجة ورخوة لا قوام لها.

على ان النقدة المتبحرين يرون فيها بعض الاحيان نورًا يسطع منها ليضيء لهم في مدلهمّات الرواية الارمية (قل السريانية) المروقة بالبسيطة (١

كانوا يتلونه باجمعه) لم يكونوا يقرأون بتمامها (من اسفار العهد القديم) سوى سفر المزامير وكتب الانبياء »

١) يدّعي حضرة المقتضب المعرّب ان من الخطإ الشنيع ان يقال « اللغة السريانية » ؛ وان الصواب ان تدعى « إرمية »، ولا آرامية ؛ « وان تسمية سريانية كانت جائزة في عصر سابق لا عصر التحقيق كما هو عهدنا هذا » (لغة العرب ج ٨ س ٨ ص ٦١٧) والحال ان الذي حققه ارباب الالسُنيّة السامية ان هناك لغات آرامية، ولا « لغة إرمية واحدة »، بل من باب التدقيق ان هذه اللغة الارامية لم يكن لها وجود، اي لم تدوّن. اما ما وجد له

En tout cas, elles occupent une place importante dans l'histoire de la Bible.

ومهما يُقل عنها ، فان لها مترلتها في تاريخ التوراة .

Versions arabes basées sur le texte hébreu.

La plus célèbre est celle de Saadias Haggaôu (891 — 941) juif originaire du Fayoum, en Egypte, directeur de l'école talmudique de Sora.

واقدم ترجمة عربية نقلت من العبرية وعرفها علماء العصر هي ترجمة سعديا الفيومي (٨٩١ الى ٩٤١م) من ديار مصر . وكان في زمانه مدير المدرسة التلمودية في سورة .

Elle se rapproche beaucoup des paraphrases targumiques, en sorte qu'elle est plus utile pour l'exégèse que pour la critique du texte.

والترجمة تداني كثيرًا الحشو الترجومي فهي اهم للتفسير منها لنقد النصّ .

L'examen des différents manuscrits que nous en avons montre qu'elle a subi de nombreuses et importantes interpolations.

والمخطوطات الباقية من هذا النقل يظهر ان الايدي قد لعبت به كل لعب .

La question de savoir si cette version s'étendait à toute la Bible est encore fort débattue. Il est certain qu'elle comprenait le Pentateuque et Isaïe : On admet généralement que Job, les petits prophètes et les psaumes avaient aussi été traduits par Saadias.

ومسألة معرفة هل ان هذه الترجمة كانت تشمل التوراة كلها او لا باقية في ميدان الجدال . على ان المؤكد انها كانت تشمل اسفار موسى الخمسة ونبوءة اشعيا . ويذهب جماعة الى ان سعديا عرّب ايضًا سفر ايوب والانبياء الصغار والزبور . وهذا يكاد يكون رأي عموم الذين عنوا بهذا الامر .

آثار ادبية ، فهو لهجات آرامية اضحت طائفة منها لغات قائمة بذاتها . وقد قسم الالسنيّون هذه اللغات الآرامية الى قسمين كبيرين ، احدهما شرقي الفرات ، والآخر غربيه . من اللغات الآرامية الشرقية : الآرامية الرهوية ، الآرامية المندائية ، آرامية التلمود البابلي الخ . ومن اللغات الارامية الغربية : آرامية التوراة ، الآرامية الترجومية ، الارامية التلمودية ، الارامية الفلسطينية . اما احدى اللغات الآرامية الشرقية ، اي « الرهوية » لان منشأها بلاد الرها ، فمنذ تدوينها دعيت سريانية ، لان المتكلمين بها ، وهم قوم من الآراميين ، اطلق عليهم اسم السريان منذ القديم . فاليوم ان قلنا « اللغة السريانية » عنينا « الارمية الرهوية » وان اردنا التخصيص قلنا : « اللغة الارمية السريانية » كما تقول « الارمية الكتابية » ، والارمية التلمودية . فالارمية اسم مطلق ، او اسم جنس ، والسريانية اسم نوع . وفي جميع تآليف العلماء الالسنيّين المحققين تقف على هذا الفرق . وجذه اللغة السريانية ، لا بغيرها من اللغات الارامية ، تُرجم الكتاب العزيز ، وألف آباء الكنيسة السريانية تآليفهم الجمة . فعلى

فانظر الآن ، رعاك ربّك ، اين هذه الطريقة ، « طريقة أئمة البادية ، طريقة النزو في ربوع العلم الحادثة » ، من اسلوب علماء الغرب المدققين الامناء المنصفين الذين متى استمدوا ، ولو جملة واحدة او احد الاسماء ، من اسفار غيرهم من المصنفين ، قدماء كانوا ام عصريين ، بادروا حالًا الى ذكر ذلك في حواشي مؤلفاتهم ؛ حتى انك لترى بعض الاحيان — وكتب الاب لامنس وغيره من كبار العلماء من اتصع الشواهد على هذا القول — ان نصف او اكثر من نصف طائفة من صفحاتها مرصد لذلك . اذن لكان الامر طبقًا للامانة الطبيعية والعلمية ، ومجلبة شرف وفخر ، لو ذكر في حاشية من الحواشي ان هذا النصّ مقتضب ترجمةً عن معجم الكتاب المقدس الفرنسي لصاحبه ڤيگورو ، او لا اقل من يقال : راجع الكتاب المسفور في الجزء الاول العمود ٨٤٥

اما مقالة « ترجمات التوراة » المقصود بها الحطّ من علم ومقام اقطاب العربية في هذا العصر ، الذين قاموا بتصحيح وصقل عبارة الترجمتين العربيتين : اليسوعية والاميركية ، فيجدر القول بان صاحبها يسير فيها متعثرًا ، بينما هو يدّعي اقالة عثرات غيره ؛ لان الزلل قد لاح من مطلعها [1] وكل ما يعزيه من

حضرة المقتضب المعرّب ان يراجع كتب العلماء مثل Noeldeke ، Rubens Duval ، Brockelmann ، ولاسيما كتاب العلامة Chabot المنون : *Les langues et les littératures Araméennes* فان هذا العنوان وحده يظهر صواب قولنا . وهذا السفر قد ترجمه الى العربية حضرة الكاتب اليافع انطوان لورنس في القدس ؛ وقد ارسلت ادارة مجلة « الحكمة » للسريان غير الكاثوليك بنسخة منه الى حضرة صاحب مجلة لغة العرب ، والظاهر انه استحسنها . فهل يا ترى رأى بام عينه ما الفرق بين السريانية من باب التخصيص ، والارمية من باب الاطلاق .

١) ان مجرّد عنوان المقالة المذكورة يحوي غلطين ، وهو مركب من لفظتين . فانه جاء اوسع من الموضوع ، بدليل ان كلمة « ترجمات » لا تعني الترجمة العربية وحدها ، الدائر البحث عليها ، بل مختلف ترجمات الكتاب العزيز الى لغات شتى . ثم ان لفظة « توراة » لا تطلق ، من باب التدقيق ، كما اطلقت في المقال ، على الكتاب الالهي بعهديه القديم والجديد ؛ بل على العهد الاول وحده . ناهيك ان حضرة المنتقد اخطأ حتى في نقل الايات ، وتعيين اعدادها . مثال ذلك (ص ٦٦٨ و٦٦٩ من المجلة المسفورة) سفر الخلق (١ : ٢٢) صواب (٣ : ٢٢) — (٩ : ١٦) صواب (٩ : ٩) — (٣٠ : ٢٤) صواب (١٩ : ٢٤) — (٣٨ : ٤٢) صواب (٣٨ : ٢٤)

الاغلاط الى متولي الترجمة اليسوعيـة فهو في الغالب ليس من الخطأ في شيء ، لأن سببه ان اللغة العربية ، العائشة خلاف طبيعة اللغات الحية ، لا يزال ولن يزال الميدان فيها فسيحاً للجوازات والاختـلافات ، ومن ثم للمجـادلات والمحاكات . ان الصحيح الفصيح في سائر الألسن الحية ، السائرة مع تطوّر الاحوال الزمنية والعمرانية ، هو ما يقبله ذوق اهل كل عصر ، قديماً كان ام حديثاً ، ولهذا تجد الفاظاً وتعبيرات وقواعـد كانت في سالف الزمان صحيحة فصيحة ، فاصبحت اليوم ، بفعل التطوّر ، من قبيـل المهجورات ، لا بل من المستهجنات . اما العربية ، فبينما هي تتهذب وتتحول متكيفة بكيفيـة احوال البيئة العصرية ، فاعلة ذلك على المنشط والمكره ، اذا بتلك الفئـة البالية الآراء ، المتحجرة العقول تحاول ارجاعها القهقرى الى عصر الخشونة والبربرة ، عصر الايل والدِمَن ، مدعيةً ان لا صحيح ولا فصيح الا ما تدفعه الينا البادية بسيل اقاصيصها الهارية ، على ان كل ذي ذوق سليم يقرّ بان العربية لم تبلغ ما بلغته من الصقل والمرونة ، والـلاسة والعذوبة ؛ اي انها لم تصبح « متمدنة » الا بفضل عبقرية المولّدين .

يقول صاحب المقال : ان كل ما جاء مخالفاً لمبـادئ النحاة (قل تفاهات بعضهم) فهو غلط شنيع . لكن لِمَ يا ترى يستعمل هو عينـه كلمة « مُلوكي » عوض « مَلَكي » عكساً للوارد في كتب النحو ؟ وما قوله في مـا نراه في « مقامات الحريري » و « نهج البلاغة » من مثل العبارات الآتية ، المناقضة لما يرتئيه ؟ ردونكها : « ها انا قد عرضت » « ها هو أمكم » « ها نحن قـد تـاعينا »[1] « ها هم رهائن القبور »[2] وفي كلها لا نجد اثراً لاسم الاشارة مفرداً

١) راجع مقامات الحريري (طبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٧٣) ص ٢٩ ، ٢٩٧ ، ٤١٨

٢) اطلب « نهج البلاغة » المنسوب الى علي بن ابي طالب (طبعة محمد علي بكداش) جزء ٢ ص ٧٩

بديهي عند اهل الذوق السليم المتزّه عن الهوى والارهام ان « نهج البلاغـة » ومقامات الحريري » — وان كان صاحباها من المولّدين — لـقران حريّان بان يعـدّا آية الايات في « الابداع والاعجاز » لانهما ، من حيث الالفاظ ، خلاصة الفصاحة والمتانـة ؛ ومن حيث المعاني ، لبّ البلاغة الفتانة . فلهما من هذا القبيل حق الافضلية على كل ما سبقهما من المصاحف .

كان ام جماً . وما رأيه خاصةً في هذه التراكيب المخالفة لقواعد النحو ؟

١ً « تلك عشرة كاملة » والصواب، حسب قواعد النحو « تلك عشر كاملة »

٢ً « وقطّعناهم اثنتي عشرة اسباطاً » ؛ والصواب « اثني عشر سبطاً » اي بتذكير الاول وافراد الثاني.

٣ً « لكن الراسخون في العلم منهم ، والمؤمنون بما انزل اليك ، وما انزل من قبلك ، « والمقيمين الصلاة » ، والمؤتون الزكاة ، والمؤمنون بالله ، واليوم الآخر » ؛ وصوابه « والمقيمون الصلاة » بالرفع تبعاً لما سبق.

٤ً «وهذان خصمان اختصموا في ربهم» ؛ ووجه الصواب «اختصما في ربهما»

٥ً «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فاصلحوا بينهما.» والصحيح ان يقال امّا « اقتتلوا وبينهم » واما « اقتتلتا وبينهما »

٦ً « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، « والصابئون » ، والنصارى...» صوابه «والصابئين» لكونه اسم إن.

٧ً «واسرّوا النجوى الذين ظلموا» ؛ هذه لغة «اكلوني البراغيث» الشهيرة، المتيتة. والصواب « واسرّ النجوى الذين ظلموا »

٨ً « ان مثل عيسى عند الله ، كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن « فيكون » ؛ صوابه « فكان » لان الكلام في الماضي.

٩ً « وانفقوا مما رزقناكم ، من قبل ان يأتي احدكم الموت ، فيقول : لولا اخرتني الى اجل قريب، فاصدق « وأكن» من الصالحين » ؛ والصحيح «واكونَ» بالنصب.

مسكاً للختام ، اتمنى ان تزول مضمحلة من ميدان العلم ، في بلادنا ، تلك الطريقة القديمة ، المعيبة ، المكروهة ، التي جاء هذا المقال بمثل حسي عليها ؛ فتسود منتشرة عوضها الطريقة العلمية الحقة الشريفة. مما ينجم عنها لمزاوليها رفعة المقام وعظيم السلطة الادبية ، ويخلد لهم الثناء الطيب على تراخي الاحقاب ، ويعود على مطالعي اسفارهم من طلاب الحقيقة بجزيل الفوائد في الحال والاستقبال.